سلسلة تفريغات شبكة بينونة

وقفات مع سورة الملك

الشيخ
علي بن سلمان الحمادي

من ضمن باقي التفريغات

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية
@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

وقفات مع
سورة الملك

وقفات مع
سورة الملك

الشيخ
علي بن سلمان الحمادي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet

www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّم علىٰ أشرفِ الأنبياءِ والمُرسلين نبينا محمدٍ وعلىٰ آلهِ وصحبهِ أجمعين.

وبعد:

أيُّها الإخوةُ الأفاضل، إنَّ من نِعَم الله عَزَّ وَجَلَّ علىٰ عبدهِ المسلم أنْ يرزقهُ تلاوةَ كتابه ويُوفقه للتدبر والتفكُر في آياتهِ، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنَّما أنزلَ القرآن لنتأمل فيه ونتفكر في مواعظهِ وعبرهِ.

قال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«لا تَهُذّوا القُرآن كَهَذِّ الشِعر»** يعني كما تقرؤون الشعر، **«ولا تنثروهُ نثر الدَّقَل»** والدَّقَل هو رديء التمر **«وقفوا عِند عجائِبه وحركوا بهِ القلوب»**.

وقال الحسنُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: **«وما تدبر آياتهِ إلَّا أتباعه، ما هو بحفظ حروفهِ وإضاعة حدودهِ»** قال: حتىٰ إنَّ أحدهم

ليقول: قدْ قرأت القُرآن كله، فما أُسِقط منهُ حرفًا، وقد والله أسقطهُ كله قال: **«ما ترىٰ القُرآنَ لهُ في خُلقٍ ولا عَمل»**.

ولهذا عابَ الله عَزَّ وَجَلَّ علىٰ الذين لا يتدبرون القُرآن، ماذا قال عنهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟

قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]، والمعنىٰ: أفلا يتفكرونَ في القرآن وما فيهِ من المواعِظ وما فيهِ من الذكر والأمر والنهي أم أنَّ قُلُوبهُم أُغلِقت وأُقفِل عليها بما فيه من شر؛ فلا يدخلها خيرٌ أبدًا؟

أيُّها الأحبة، إنَّ القُرآن الكريم وما يحوي من آياتٍ وسور كُلها فاضلة، فالقُرآنُ كلام الله تعالىٰ غير مخلوق، منهُ بدأ وإليهِ يعود، تكلَّم بهِ ربنا عَزَّ وَجَلَّ وسَمِعَهُ منهُ جبريل عليهِ السلام، وبلَّغهُ جبريل عليهِ السلام إلىٰ من؟ إلىٰ محمدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثُمَّ بلَّغهُ محمدٌ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ أُمتهِ، وأخبرَ عَلَيْهِ الصَلاةُ و السَّلَامُ أنَّ لبعض سورهِ وآياتهِ خصائِصَ

وفضائِل لا توجد في غيرها، وإنَّ من تِلْكُم السور التي حثَّ النبيُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ قراءتها وعلىٰ تدبرها ،

وأخبر عن فضلها ومكانتِها: «**سورة المُلك**» فقد ثبت من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنْ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ سُورَةً مِنْ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّىٰ غُفِرَ لَهُ وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**» والحديثُ رواهُ الترمذي، وفي لفظٍ عند الحاكِم في المُستدرَك قال: «**شَفَعتْ لرجُلٍ فأخرجَتْه مِنْ النَّارِ، وأدخلَتْه الجنَّةَ**»[1] اللهُ أكبر! ثلاثون آية كانت سببًا لخروجهِ من النَّار ودخولهِ الجنَّة.

وقد بيَّن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّها تُنجي من عذابِ القبر، فقال في الحديث الآخر: «**يُؤْتَىٰ الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ فَتُؤْتَىٰ رِجْلاَهُ فَتَقُولُ رِجْلاَهُ**» يعني يأتيه من قِبَلِ رجلهِ ملائِكة؛

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (١ / ٥٦٥) برقم: (٢٠٨٣).

فيُنطِق الله عَزَّ وَجَلَّ الرجلين، «فَتَقُولُ رِجْلاَهُ لَيْسَ لَكُمْ عَلَىْ مَا قِبَلِي سَبِيلٌ؛ كَانَ يَقُومُ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ الْمُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَىْ مِنْ قِبَلِ صَدْرِهِ -أَوْ قَالَ: بَطْنِهِ- فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَىْ مَا قِبَلِي سَبِيلٌ» يعني اتركوا هذا الجانب، «كَانَ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ الْمُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَىْ رَأْسُهُ فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَىْ مَا قِبَلِي سَبِيلٌ كَانَ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ الْمُلْكِ، قَالَ: فَهِيَ الْمَانِعَةُ تَمْنَعُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَهِيَ فِي التَّوْرَاةِ سُورَةُ الْمُلْكِ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْاب» [٢] والحديثُ صحيحٌ رواهُ الحاكِمُ في مُستدركِهِ.

فلفضلها وعظيم شأنها كان رسولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا ينامُ حتىٰ يقرأها، أيُّها الإخوة، لو تأملنا في هذهِ السورةِ العظيمة؛ لوجدنا أنَّ الله تَعَالَىٰ استفتحها بالثناء علىٰ نفسهِ فقال سُبْحَانَهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١] أي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذو البركةِ والعظمةِ

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢ / ٤٩٨) برقم: (٣٨٦٠).

والخير، ومن عظمتهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ بيدهِ مُلك العالم عُلويهِ وسُفليه، يتصرف في مُلكهِ كيف يشاء ويحكُم فيهِ بما يُريد، لا مُعقِب لحُكمهِ ولا راد لقضائِهِ، خلق الله عَزَّ وَجَلَّ الموت؛ ليُميت الأحياء، وخلق الحياةَ؛ ليُحيي الأموات، وفعل ذلِك؛ ليختبركم في حياتكم، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢] فيُجازيهِ علىٰ ذلِك في الآخرة.

قال الفُضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في قولهِ: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: **«أي أخلصهُ وأصوبه، فقيل للفُضيل: ما أخلصهُ وأصوبهُ؟ قال: إنَّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكُن صوابًا؛ لم يُقبَل، وإذا كان صوابًا ولم يكُن خالصًا -أي لله عَزَّ وَجَلَّ-؛ لم يُقبَل حتىٰ يكونَ خالصًا صوابًا، قال: والخالصُ أن يكون لله والصوابُ أن يكونَ علىٰ السُنَّة»**.

ثُمَّ أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن إتقان صُنعهِ فقال: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك:٣] أي طَبقًا فوقَ طبق،

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ لن ترىٰ فيهِ اختلافًا ولا تنافُر، ثُمَّ قلِّب يا بن آدم، بصرك في هذا الكون وكرَّر النظر فيهِ مرةً بعد مرة؛ فسيرجِعُ إليك ذليلًا صاغِرًا كليلًا قد انقطع من الإعياء، إذ لم ترَ فيهِ عيبًا ولا نقصًا أي في خلق الله عَزَّ وَجَلَّ، فكُل ما خَلقهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُحكمًا دالٌ علىٰ كمال قُدرتهِ وتدبيرهِ.

ثُمَّ أخبر جَلَّ وَعَلا أَنَّهُ زيَّنَ السماء الدُنيا، زينها بماذا؟ قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي النجوم المُتلألأة، قال: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ أي ترجم الشياطين إذا أتوا لاستراق السمع.

قال قتادةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **«إنَّما خُلِقت هذهِ النجوم لثلاثة خِصال: خلقها الله زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلاماتٍ يُهتدىٰ بها»**، ثُمَّ أخبر عَزَّ وَجَلَّ عن حال المُكذِّبين الذين كذَّبوا رُسلهُ وأنكروا توحيدهُ وأَنَّهُ قدْ أعد

لهُم عذابَ جهنم وبئس المآل والمُنقلب إليها، قال: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك:٧] أي تفورُ وتغلي بهم كما يغلي الماء، تكادُ ينفصلُ بعضها من بعض من شِدة غيظها عليهم وحنقها بهم، كُلمَّا أُلقيَ في جهنم جماعةٌ سألهم خزنة النَّار: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [الملك:٨] وهذا من كمالِ عدلهِ عَزَّ وَجَلَّ في خلقهِ، لماذا؟ لأنَّهُ لا يُعذِب أحدًا إلَّا بعد قيام الحُجةِ عليه وإرسال الرُسل إليهِ؛ ولهذا قال سُبْحَانَهُ في الآية الأُخرىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء:١٥]، فيقولون هؤلاء المُكذِّبون لخزنة النَّار: ﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ [الملك:٩] وعادوا علىٰ أنفسهم بالملامة وندموا حيثُ لا تنفعهم الندامة، فقالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠]، فلو كانت لنا عقولٌ ننتفع بها لما كُنا علىٰ ما كُنا عليهِ من الكُفر بالله عَزَّ وَجَلَّ والاغترار بهِ ولكنْ لم يكُن لنا

فَهمٌ نَعِي بِهِ ما جاءت بِهِ الرُسل ولا كان لنا عقلٌ يُرشدنا إلىٰ إتِّباعِهم؛ ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١١].

أيُّها الأحبة، ثُمَّ أخبرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن الذين يخافون مقام ربهم، ماذا قال عنهم؟ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [الملك:١٢] أي فيَنفكون عن المعاصي ويقومون بالطاعات حيثُ لا يراهم إلَّا الله تَعَالَىٰ بأنَّهُ ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ تُكفَّر عنهم ذنوبهم ويُجازون بالثوابِ الجزيل، ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ مُنبِّهاً علىٰ أنَّهُ مُطلعٌ علىٰ الضمائِر وما تُخفيهِ السرائِر: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك:١٣] أي أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَعلَمُ خائِنة الأعين وما تُخفي الصدور وما يخطر في القلوب، ثُمَّ ذكر نعمتهِ علىٰ خلقهِ في تسخير الأرض لهم وتذليلها لهم بأنْ جعلها لهُم قارةً ساكنةً لا تَميدُ ولا تضطرب، بماذا لا تميدُ ولا تضطرب؟ بما جعل فيها من الجبال الرواسي وأنبعَ فيها من العيون

وسلك فيها من السُبل وهيأ فيها من المنافِع ومواضِعِ الزروع والثمار، قال: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك:١٥] أي فسافروا حيثُ شئتم في أقطارها وترددوا في أرجائِها وابتغوا فيها من أنواع المكاسب والمنافع واعلموا أَنَّهُ المُسَخِرُ والمُسيِّرُ والمُسبِّب، ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥] أي المرجِع يوم القيامة.

أيُّها الإخوة، من الفوائِد العظيمة التي نبَّهت عليها هذهِ السورةُ الكريمة: بيانُ لطفهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورحمتهِ بخلقهِ وأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قادِرٌ علىٰ تعذيبهم بسبب كُفر بعضهم، وأَنَّهُ قادِرٌ علىٰ أن يُسلِطَ عليهم عذابًا من عنده، فقال تَعَالَىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك:١٦] أي تذهب وتجيءُ وتضطرب، ولكنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع هذا يحلُم ويصفح ويُؤجِل ولا يُعجِّل كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ

عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر:٤٥].

ثُمَّ ضرب الله تَعَالَىٰ مثلًا للمؤمنِ والكافر، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الملك:٢٢] يعني الكافِر مثلهُ فيما هو فيه كمثلِ من يمشي مُكبًا علىٰ وجههِ، كيف ذلِك؟ يعني مُنحنيًا لا مستويًا، لا يدري أين يسلُك ولا كيف يذهب بل تائِهٌ حائِرٌ ضال، أهذا هو أهدىٰ أم من يمشي سويًا مُنتصب القامة، علىٰ صراطٍ مستقيم، واضح، بيِّن؟ هذا مثلهم في الدُنيا وكذلِك يكونون في الآخرة.

فالمؤمنُ يُحشَر يمشي سويًا علىٰ صراطٍ مستقيم مُفضٍ بهِ إلىٰ الجنَّة، وأمَّا الكافِر فإنَّهُ يحشر يمشي علىٰ وجههِ إلىٰ نَّار جهنم، وقد يسأل البعض كيف يمشي علىٰ وجههِ؟ قال أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**قيل: يا رسول الله، كيف يُحشر الناسُ علىٰ**

وجوههم؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أليس الذي أمشاهم علىٰ أرجلهم قادرًا علىٰ أن يُمشيَّهُم علىٰ وجُوهِهم؟**» »[٣].

أيُّها الإخوة إنَّ من تدبر القُرآن وتدبَّر ما قبل الآيةِ وما بعدها وعرف مقصود القرآن سيتبيَّنُ لهُ المُراد وسيعرف الهُدىٰ والرسالة وسيعرف السداد من الانحراف والاعوجاج، فينبغي علىٰ المُسلِم أن يقرأ القُرآن بتفكُرٍ في آياتهِ وتدبرٌ في معانيهِ ولا يكُن همهُ إنهاء السورةِ وإكمال الجُزء فحسب، كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأثر الذي ذكرناهُ في بداية هذا المجلس، قال: «**لا تهذوا القُرآن كهذ الشِعر ولا تنثرهُ نثر الدَّقَل، وقِفوا عند عجائِبهِ وحركوا بهِ القلوب**».

❁ ❁ ❁

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦ / ١٠٩) برقم: (٤٧٦٠).

فأسأل الله جَلَّ وَعَلا بمنِّهِ وكرمهِ أنْ يتولانا برحمتهِ، اللَّهُمَّ إنَّا نسألكَ الهُدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، اللَّهُمَّ أعنَّا علىٰ صيام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا وأعنَّا علىٰ قيام لياليهِ وقيامِ ليلةِ القدر إيمانًا واحتسابًا فغُفِر لهُ ما تقدَّم من ذنبهِ.

اللَّهُمَّ إنَّ نعوذُ بكَ من البرص والجنون والجُزامِ من سيء الأسقام، اللَّهُمَّ ارفع عنَّا البلاء، اللَّهُمَّ ارفع عنا هذا الوباء.

اللَّهُمَّ وَفِّق ولاة أمورنا لِما تُحِب وترضىٰ، اللَّهُمَّ وَفِّق الجهات المعنية التي تقومُ في الصفوف الأولىٰ في مُدافعةِ هذا الوباء، اللَّهُمَّ كُن لهُم عونًا وسندًا ونصيرًا، اللَّهُمَّ يسِّر أمورهم وسدِّد أمرهم يا ذا الجلال والإكرام.

وآخر دعوانا أنْ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية